تمهيد

رحم الله شيخنا محمد الغزالى [١٣٣٥ - ١٤١٦هـ ١٩١٧ - ١٩٩٦م] الذى قال:

«إن التحدى الأعظم للإسلام كله هو يقظة كل القوى المعادية له، وتبييتها النية على اغتياله!

لقد صحت اليهودية والنصرانية والشيوعية والوثنية، وتملكتها رغبة مجنونة للقضاء على هذا الدين.. ولتوجيه الضربة الأخيرة إليه»!..

ولقد علل شيخنا الغزالى تصاعد العداء للإسلام، وضراوة الهجوم عليه، بمحاولة هؤلاء الأعداء معاجلة الصحوة الإسلامية، التى تسعى لإيقاظ المسلمين، والخروج بهم من مأزق التخلف والانحطاط.. فقال:

«إنهم يضربوننا بشراسة، لأننا نستيقظ.. لو كنا أمواتًا ما ضربونا، فالضرب فى الميت حرام»!..

ومصداقا لهذه الرؤية البصيرة بتضاريس ميادين الحرب العالمية على الإسلام، نلاحظ:

● توازى تصاعد الحملة على الإسلام مع إفلاس النصرانية الغربية.. ومأزق المشروع الصهيونى المتحالف مع الأمبريالية الغربية والمسيحية الصهيونية.

● وجاذبيـة الإسلام لجمـاهير شـعوب الشرق، بعـد إفلاس نماذج التحديث على النمط الغربى.

● وتمدد الإسلام فى عقر دار الصليبية الغربية ذاتها!..

إن جـماهيـر الشرق تنعـطف نحو الإسـلام، تاركة دور الأحـزاب العلمانية والليبرالية قاعا صفصفا، ينعق فيها البوم!..

وثورات الشعـوب الشرقية تنطـلق من المساجد، وفى أيام الجمـعة، مكبرة ومهللة، وهى تزحف -عقب الصلاة- لإزالة نظم الجور والفساد والاستبداد والعجز والتبعية، التى صنعها الغرب الصليبى لتحرس الكيان الصهيونى، ولتحول بين الإسلام وبين السيادة على أرضه وأمته.

وعلى حين يسعى الإسـلام الجهادى إلى دفن جحـافل الغزو الغربى فى أرض البلاد التى ابتليت بهـؤلاء الغزاة.. يقيم الكيان الصـهيونى - الذى كـان يحـلم بما بين النيل والفـرات، وبالهـيـمنة عـلى الشـرق الإسلامى- يقيم جـدارًا للفصل العنصرى- على أرض الضفـة الغربية- كى يحمى وراءه كيانه المنبوذ!.. حتى لكأن الحلم الصهيونى المجنون قد تمخض عن «جيتو» خلف هذا الجدار!..

● وفى عقر ديار الصليبية الغربية، دخلت الرأسمالية المتوحشة -التى حلموا أن تكون نهاية التاريخ!- بشعوب الحضارة الغربية إلى نفق مظلم ومـسدود!.. حـتى ليـتطلع عـقلاء الغـرب إلى الحل الإسـلامى فى

الاقتصاد غير الربوى، لإنقاذ الغرب من الإفلاس.. فتكتب المجلة الفرنسية «التحديات» -challenges- فى أكبر بلاد الكاثوليكية- فتقول:

«إنه فى حين يمر العالم بأزمة مالية تجتاح جميع معالم النمو فى طريقها، يجب علينا قراءة القرآن بدلا من نصوص البابوية. ولو طبق رجال البنوك، الطامعون بالمردود على أموالهم الخاصة -ولو قليلا- الشريعة الإسلامية ومبدأها المقدس: «المال لا ينتج المال»، فإننا لم نكن لنصل إلى ما وصلنا إليه»[1].

● وعلى الجبهة الدينية:

- يزيد عدد المسلمين الذين يصلُّون الجمعة فى فرنسا -بنت الكاثوليكية، وأكبر بلادها- عن عدد الفرنسيين الكاثوليك الذين يذهبون إلى الكنائس يوم الأحد لأداء القداس!

- وتفقد الكنائس الألمانية سنويًا أكثر من ١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) من أبنائها!.. وتُغلق آلاف الكنائس لتُباع، وتتحول إلى مطاعم وملاهى.. وعلب ليل تمارس فيها الفحشاء!.. فلقد توقف القداس فى ثلث كنائس إبرشية «أيسن».. وهناك ١٠,٠٠٠ كنيسة ألمانية مرشحة للإغلاق!..

- وفى إنجلترا -حيث ينص الدستور على أن البروتستانتية هى دين الدولة.. وحيث يجمع العاهل بين المُلْك ورئاسة الكنيسة- صنفت

---

(١) أكرم بلقعيد «عودة البنوك الإسلامية» -ملحق «لوموند ديبلوماتيك»- النسخة العربية- صحيفة «الأخبار» -القاهرة فى ٧/ ١١/ ٢٠٠٨م.

١٠٪ من كنائسها رسميًا باعتبارها زائدة عن الحاجة ومرشحة للإغلاق.. إذ لا يحضر القداس الأسبوعى -فى إنجلترا- سوى مليون فقط!..

- وفى روما -حيث الفاتيكان- صوت ٧٠٪ من الكاثوليك محبذين ممارسة الجنس -أى الزنا- قبل الزواج!..

- وفى أمريكا يواجه أكثر من ٣,٠٠٠ (ثلاثة آلاف) قسيس تهم الشذوذ الجنسى مع الأطفال!..

● وفى هذا الفراغ المسيحى -الذى صنعته الحداثة والعلمانية والفلسفة الوضعية- يتمدد الإسلام:

- فالمسلمون فى ألمانيا -وهم ٣٪ من السكان- تبلغ نسبة مواليدهم ١٠٪ من المواليد الألمان!.. بينما تزيد نسبة وفيات الألمان المسيحيين عن نسبة المواليد!..

وفى سنة ٢٠٠٥م وسنة ٢٠٠٦م زادت المساجد -فى ألمانيا- من ١٤١ إلى ١٨٧.. وهناك ١٨٤ مسجدا تحت الإنشاء.

- وفى إنجلترا -حيث تعداد المسلمين ٢,٥٠٠,٠٠٠ تقول التوقعات إن عدد المسلمين الملتزمين دينيا سيفوق نظراءهم الأنجليكانيين فى العقود القادمة!..

ولقد سبق اسم «محمد» اسم «جورج» فى مواليد سنة ٢٠٠٦م.. واحتل المرتبة الأولى -قبل اسم «جاك» و«هارى» -فى مواليد سنة ٢٠٠٩م.

وأعلن «كورمك ميرفى» -رئيس الكنيسة الكاثوليكية-: «أن المسيحية أوشكت على الانحسار فى بريطانيا»!.

- وفى بلجيكا -مقر الاتحاد الأوربى- سيشكل المسلمون أغلبية العاصمة -«بروكسل»- بعد عشرين عامًا!.. واسم «محمد» هو الأكثر انتشارًا فى مواليد «بروكسل» منذ سنة ٢٠٠١م.

- وفى روسيا الاتحادية، كان عدد المساجد عند سقوط الشيوعية سنة ١٩٩٠م ٩٨ مسجدًا.. فبلغ عددها سنة ٢٠٠٨م ٧,٢٠٠ مسجد.. وهناك توقعات بأن يصبح المسلمون أغلبية فى روسيا الاتحادية سنة ٢٠٥٠م.

● ولقد أعلن بابا الفاتيكان -بنديكتس السادس عشر -فى وصف هذا المشهد- عن خشيته من:

«انقراض المسيحيين الأوربيين.. ومن أن تصبح أوربا جزءا من دار الإسلام فى القرن الواحد والعشرين»![1].

***

لكن الغريب والعجيب هو أن الغرب الصليبى، الذى يواجه هذا المأزق، بدلا من أن يتعلم من الإسلام، رأيناه ونراه يزداد اندفاعا على طريق العداء للإسلام!.. -فكنائسه- التى خانت مسيحيتها.. والتى

(١) انظر تفاصيل الحالة الدينية فى الغرب بكتابنا [الغرب والإسلام: تاريخ من الغزو والتزييف وغواية الأقليات] ص ١٥٥- ١٦٢ طبعة مكتبة وهبة- القاهرة سنة ٢٠١١م.

أخذت تزوج الشواذ.. والتى غرقت فى الفضائح الجنسية.. والتى هرب منها أبناؤها-.. بدلا من أن تعمل على تنصير شعوبها، انصرفت إلى تنصير المسلمين!..

- والحكومات الغربية -التى أفرزت حضارتها شرور النازية والفاشية والرأسمالية المتوحشة.. والحروب الدينية.. والقومية.. والاستعمارية -التى أبادت مئات الملايين- بدلا من مراجعة الأيديولوجيات والفلسفات الوضعية والمادية- نراها تسعى -بالغزو الفكرى والعسكرى- لفرض هذه الشرور والأمراض الفكرية على المسلمين وعلى حضارات الجنوب..

- وفى التعامل مع الكتب المقدسة، نرى الكنائس الغربية بدلا من مراجعة نصوصها الدينية -التى لا يستحق أغلبها وصف «النصوص الدينية» -نراها تشغل نفسها- وتشغلنا معها- باختراع وافتعال ما تسميه «شبهات.. وتناقضات» فى القرآن الكريم، بل ويحتفل بعضها بإحراق القرآن الكريم!

***

لقد جاء بكتاب [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] -الذى كتبه عدد من علماء اليهود، الخبراء فى نقد النصوص:

«إن هذه الأسفار المقدسة هى من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن.. فلا ارتباط بينها، سواء فى أسلوب اللغة أم فى طريقة التأليف..

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب فى الصحراء -[سيناء]- وموسى لم يكتب التوراة كلها.. وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة.. ففيها ثمانى مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهى:

١- لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء -[فى سيناء]- تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم -[أى فى أرض كنعان]-.

٢- ولفائف من تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع ابن صادق.

٣- ولفائف أعداد الأسباط.

٤- ولفائف باعترافات الأنبياء.

٥- ومجموعات من روايات بيت داود.

٦- وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم فى بابل.

٧- وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبى.

٨- وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين [أى القرن الثامن قبل الميلاد]..

إن سفر التكوين قد أُلِّف بعد مئات السنين من استيطان اليهود فى فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط فى إرث استيطانهم بزمن طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجوداً على كل حال قبل عصر إشعيا [أى حوالى ٧٣٤- ٦٨٠ ق.م].

أما بالنسبة لسفْرى الخروج والعدد، فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة.

وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة فى التوراة بين أنشودة موسى -الموجودة فى سفر الخروج- وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد- هى فى مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها. وفى الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما. كما أن أقوال داود قليلة فى سفر آخر منسوب إليه..»[1].

وإذا كانت هذه هى «شهادة شهود من أهلها» -شهادة علماء اليهود، الخبراء فى نقد النصوص- على «أسفار العهد القديم».. فإن شهادة «دائرة المعارف البريطانية».. وهى أوثق دوائر المعارف العالمية- على أسفار العهد الجديد، تقول:

«إن الأناجيل الأربعة المشهورة، والمعتمدة لدى الكنائس النصرانية الكبرى المعاصرة، اثنان منها كتبهما اثنان من الجيل التالى لجيل المسيح -أى من تابعى صحابة المسيح- فمرقس تلميذ لبطرس- الحوارى-.. ولوقا تلميذ لبولس.. فليسا شاهدين على ما كتبا.

---

(١) زالمان شازار -محرر [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] ص ١٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠. ترجمة: دكتور أحمد محمد هويدى، تقديم ومراجعة: دكتور محمد خليفة حسن. طبعة المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة سنة ٢٠٠٠.

والإنجيل الثالث -إنجيل يوحنا- الذى تفرد بتأليه المسيح -ترجح الدراسات المستندة إلى النقد الداخلى لنصوصه- أنه قد كتب بواسطة يوحنا آخر- غير يوحنا الحوارى- فى نهاية القرن الأول الميلادى..

وإنجيل متَّى -تقول عنه دائرة المعارف البريطانية-: إن كون متَّى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد.. ومن المسلم به أن متَّى قد اعتمد فى كتابة إنجيله على إنجيل مرقس، أول الأناجيل تأليفا، حيث حوى ٦٠٠ عدد من أعداد إنجيل مرقس البالغة ٦٢١ عدداً، أى ٩٠٪ من محتويات إنجيل مرقس.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن: كيف يعتمد متى، وهو حوارى المسيح الذى لازمه منذ البداية -منذ بداية دعوته- على إنجيل كتبه مرقس، وهو تلميذ الحوارى بطرس، أى من الجيل الثانى من أتباع المسيح؟!.

أما إنجيل مرقس، فوفق أفضل المخطوطات، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عمومًا إضافات متأخرة.. والأعداد الأخيرة -١٦: ٩-٢٠- غير موجودة فى بعض المخطوطات، ويوجد عوضا عنها مقاطع أقصر فى مخطوطات أخرى، وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء.

وعن إنجيل لوقا، تقول «دائرة المعارف البريطانية»: إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولا.

وعن إنجيل يوحنا -الذى انفرد بتأليه المسيح- تقول دائرة المعارف البريطانية: إنه يتعارض مع الأناجيل الأخرى فى أمور مهمة جداً وحاسمة، فهو يذكر أن المسيح صلب يوم ١٤ نيسان -[إبريل]- بينما يفهم من بقية

الأناجيل أن الصلب كان يوم ١٥ نيسان، ولا يذكر يوحنا فى إنجيله تفاصيل رواية القربان المقدس -أو العشاء الأخير- التى أصبحت فيما بعد شعيرة من شعائر المسيحية، ولا يذكر أن المسيح تعمَّد بواسطة يوحنا المعمدان، وفى حين يفهم من إنجيل يوحنا أن رسالة المسيح استغرقت ثلاثة أعوام، فإنه يفهم من الأناجيل الأخرى أنها استغرقت عامًا كاملا.

ويوحنا هو الوحيد الذى ذكر أن عيسى أخبر تلاميذه، قبل صلبه، أنه سيرسل «الفار قليط»، وهذه الاختلافات المهمة -وغيرها كثير- جعلت الموسوعة البريطانية تورد قول الأسقف «بابياس» -المتوفى سنة ١٣٠م- أى المعاصر لكتابة الأناجيل- عن وجود أكثر من يوحنا- يوحنا بن زبدى، الحوارى.. ويوحنا آخر، هو الكاهن فى أفسس.

وفى داخل الإنجيل يفهم أنه كتب بواسطة حوارى محبوب مجهول الاسم..

وبما أن الشواهد الداخلية والخارجية مشكوك فيها، فإن الفرضية المطروحة لهذا العمل هى: أن إنجيل يوحنا ورسائله حررت فى مكان ما فى الشرق، ربما فى أفسس، كإنتاج لمدرسة أو دائرة متأثرة بيوحنا فى نهاية القرن الأول الميلادى..

يضاف إلى ذلك، أن هذه الأناجيل قد كتبت فى عصر متأخر عن عصر المسيح وعن تاريخ وفاته..

فأقدم هذه الأناجيل -كما تذكر ذلك «الموسوعة البريطانية»- هو إنجيل مرقس- الذى كتب ما بين سنة ٦٥م وسنة ٧٠م- أى بعد ثلاثين عامًا من

رفع المسيح -عليه السلام-.. وإنجيل متى كتب ما بين سنة ٧٠م وسنة ٨٠م.. وإنجيل لوقا كتب سنة ٨٠م.

أما إنجيل يوحنا فكتب فى نهاية القرن الميلادى الأول -أى سنة ١٠٠م-[١].

***

تلك شهادة «دائرة المعارف البريطانية» على مدى موثوقية أسفار العهد الجديد.. سقناها -شهادة شاهد من أهلها-.. بعد أن سقنا شهادة علماء اليهود- الخبراء فى نقد النصوص- على مدى موثوقية أسفار العهد القديم..

● لقد سقنا هذه الشهادات -فى هذا التمهيد- لنقول لخصوم الإسلام والقرآن:

- لماذا تخترعون وتفتعلون وتضخمون «القشة» -ثم تعملون على وضعها فى عيون خصومكم.. فى الوقت الذى تغمضون فيه عيونكم على «الأخشاب»؟!..

ولنقول لهم -أيضًا- إن عشرات من علماء الغرب قد شهدوا على مصداقية وموثوقية القرآن الكريم.. صنعوا ذلك وهم على نصرانيتهم، كثمرة لصدق الضمير بعد الدراسة والتمحيص.. ومنهم

(١) [دائرة المعارف البريطانية] المجلد الثانى، ص ٩٥١- ٩٥٥، وانظر كذلك: محمد السعدى [حول موثوقية الأناجيل والتوراة] ص ١٥- ٢٤ طبعة طرابلس -ليبيا- سنة ١٩٨٦.

من قادة إخلاصه للحقيقة لاعتناق الإسلام.. ومن هؤلاء العلماء- على سبيل المثال:

١- المستشرق الإنجليزى -سيرتوماس آرنولد [١٨٦٤- ١٩٣٠م].

٢- والمستشرق الأمريكى -واشنجتون إيرفنج.

٣- والمستشرق الأمريكى بروز.

٤- والمستشرق الفرنسى بلاشير [١٩٠٠- ١٩٧٣م].

٥- والقانونى الفرنسى بوازار.

٦- والمستشرقة الأمريكية ديبورا بوتر.

٧- والطبيب والعالم الفرنسى موريس بوكاى.

٨- والكاتب الإنجليزى وليم بيرسل بشير بيكارد.

٩- والمؤرخ الأمريكى فيليب حتى [١٨٨٦- ١٩٧٨م].

١٠- والمفكر اللبنانى جورج حنا.

١١- والكاتب الهندى عامر على داود.

١٢- والمستشرق الفرنسى إميل درمنجم.

١٣- والمؤرخ الفرنسى الكونت دى كاسترى [١٨٥٠- ١٩٢٧م].

١٤- والكاتب الفرنسى إيتين دينيه [١٨٦١- ١٩٢٩م].

١٥- ومؤرخ الحضارة والفلسفة الأمريكى ول ديورانت [١٨٨٥- ١٩٨١م].

١٦- والمؤرخ الفرنسى فرانز روزنتال.

١٧- والباحث الفرنسى جاك. س. ريسلر.

١٨- ومؤرخ العلوم البلجيكى جورج سارتون [١٨٨٤- ١٩٥٦م].

١٩- والباحثة البولونية يوجينا جيانة ستشجفسكا.

٢٠- والمسيحى اللبنانى نصرى سلهب.

٢١- واليهودى العراقى نسيم سوسة.

٢٢- والمستشرق الفرنسى لويس سيديو [١٨٠٨- ١٨٧٦م].

٢٣- والمستشرق الفرنسى هنرى سيرويا.

٢٤- والهندى بشير أحمد شاد.

٢٥- والقس المصرى إبراهيم خليل أحمد.

٢٦- والباحثة الإيطالية لورا فيشيا فاجليرى.

٢٧- واليهودى النمساوى ليوبولد فايس -محمد أسد- [١٩٠٠- ١٩٩٢م].

٢٨- والمؤرخ الأمريكى سدنى فيشر.

٢٩- والمستشرق الإنجليزى سيرهاملتون روسكين جب [١٨٩٥- ١٩٦٧م].

٣٠- والنبيلة الإنجليزية الليدى إيفلين كوبولد.

٣١- والمفكر الإنجليزى كويليام.

٣٢- والفنان الإنجليزى روم لاندو.

٣٣- والطبيب والمؤرخ الفرنسى جوستاف لوبون [١٨٤١- ١٩٣١م].

٣٤- والمستشرقة الألمانية إلس ليختنستادتر.

٣٥- والمستشرقة الألمانية سيجريد هونكة [١٩١٣- ١٩٩٩م].

٣٦- والمستشرقة الألمانية آن ميرى شيمل.

٣٧- والباحث الفرنسى فنساى مونتاى [١٩٥٤م].

٣٨- والفيلسوفة الإنجليزية برجت هونى.

٣٩- والقس الإنجليزى مونتجمرى وات [١٩٠٩- ٢٠٠٦م].

٤٠- والسياسى الألمانى بسمارك [١٨١٥- ١٨٩٨م].

٤١- والعالم الإنجليزى جورج سيل [١٦٩٧- ١٧٣٦م][1].

***

وإذا شئنا -مراعاة للمقام.. فى هذا التمهيد- أن نقدم شهادة واحد من هؤلاء العلماء الغربيين على مصداقية وموثوقية القرآن الكريم.. فإننا نقدم شهادة القس الانجليكانى الإنجليزى مونتجمرى وات [١٩٠٩- ٢٠٠٦م] -وهو قسيس ابن قسيس، خدم فى كنائس لندن وأدنبرة والقدس.. ودرس الإسلام لأكثر من ثلث قرن [١٩٣٧- ١٩٦٩م] ثم توج دراساته هذه بكتابه [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] -سنة ١٩٦٩- والذى كتب فيه عن القرآن الكريم:

(١) انظر كلمات أغلب هؤلاء العلماء عن القرآن الكريم فى: دكتور عماد الدين خليل [قالوا عن الإسلام] ص ٤٩- ٨٩ طبعة الندوة العالمية للشباب الإسلامى- الرياض سنة ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

«لقد شهدت بدايات القرن العشرين صرعة [مودة] تقديم القرآن للقارئ الأوربى باعتباره مختارات من الأفكار اليهودية والمسيحية، بالإضافة لقليل من الزيادات المحددة، ومعنى هذا انتفاء الجدة والأصالة..

والواقع أن هذه النظرة تعد بقية من بقايا الدعاية المسيحية التى سادت فى فترة الحروب الصليبية، عندما كان على أوربا الغربية التى كانت ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام، أن تقوى دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام.

إن القرآن لم يكن مجرد ترديد لأفكار يهودية ومسيحية، فلقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقل عن اليهودية والمسيحية.. وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم فى حالة. نقائه الأولى..

إن الوحى الإسلامى لابد من تناوله بجدية.. إن القرآن صادر عن الله، وبالتالى فهو وحى، وليس كلام محمد بأى حال من الأحوال، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من رسول اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة أولا، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربى مبين.

وهناك إشارات فى القرآن إلى أنه موجه للجنس البشرى قاطبة، وقد تأكد ذلك عملياً بانتشار الإسلام فى العالم كله، وقَبِله بشر من كل الأجناس تقريبًا.. إن القرآن يحظى بقبول واسع بصرف النظر عن لغته، لأنه يتناول القضايا الإنسانية..

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات القرآن ليست نتيجة أى تفكير واع منه.. إن القرآن لا ينبغى النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية. وإن التجربة النبوية مع الوحى يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلى:

١- محمد يشعر، وهو فى حالة وعى، أن هناك كلمات بعينها تلقى فى روعه، أو تحضر فى قلبه أو عقله الواعى.

٢- وأن هذه الكلمات والأفكار لم تكن أبدا نتيجة أى تفكير واع من جانبه.

٣- وأنه يعتقد أن هذه الكلمات التى ألقيت فى روعه من قِبَل «مندوب» أو«مبعوث» خارجى متحدث إليه كملك.

٤- وأنه يعتقد أن هذه الرسالة قادمة من الله تعالى.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التى أُوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدى، لأن السور التى تلاها محمد هى من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله. وليس من شك فى أنه ليس من قبيل الصدفة أيضًا أن كلمة (آية) تعنى علامة على القدرة وتعنى أيضًا فقرة من الوحى.

وعندما تمت كتابة هذا الوحى شكّل النص القرآنى الذى بين أيدينا.. وفى الحديث عن جمع القرآن نجد أن كلمة (جمع) قد استخدمت فى آيات قرآنية مهمة ﴿ لا تُحَرِّكْ به لسانَكَ لتعْجَلَ به (١٦) إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ (١٧) فَإذَا قَرَأْناهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩].

ومن الممكن أن يكون التفسير الطبيعى لهذه الآيات: أن محمداً ما دام يتبع تلاوة من يتلو عليه (جبريل) فإن الله تكفَّل بجمع الآيات المتفرقة، أو التى أُوحى بها فى أوقات مختلفة، ليجعلها فى سياق واحد.

وإذا لم يكن محمد هو الذى رتَّب القرآن بناء على وحى نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور أن زيد بن ثابت [١١ ق.هـ- ٤٥هـ- ٦٠٠- ٦٦٥م] أو أى مسلم آخر يقوم بهذا العمل، ومن هنا فإن كثيراً من السور قد اتخذت شكلها الذى هى عليه منذ أيام محمد نفسه.

إن القرآن كان يُسجل فور نزوله.. ولقد تبوَّأ القرآن دائمًا -فى حياة المجتمع الإسلامى- مكان المركز، أو القطب، أو المحور، وصَنَع نسيج الحياة الإسلامية، والنظرة العقلية للعالم والكون..

وفى الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً لم يتلق وحيا، وعن الأفكار الشبيهة.

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهى حاضراً فى وعيه.. وكان واعيًا تمامًا أنه لا دخل لتفكيره الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله. وبتعبير آخر، فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعى، الأمر الذى يعنى أن القرآن لم يكن بأى حال من الأحوال نتاج تفكير محمد.

ورغم كثرة القراءات للقرآن فإن أيا منها لم تؤد إلى جنوح معانى القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعانى المفهومة من القراءات الأخرى.

وإذا كان القرآن كلام الله وحده، ورسالته إلى محمد، فإن الكثيرين من المسيحيين لا يفترضون أن كلمات الله [فى العهدين القديم والجديد]- قد جلبها مصدر خارجى ممثل فى ملك أو ملائكة يملونها على كتّاب الأناجيل، وإنما يُلقى فى روع هؤلاء الكُتّاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقًا.. والأنبياء الوارد ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد: «هكذا يقول الرب». ولذا، فلابد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات هو بمعنى من المعانى كلمات الله حقًا.

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم فى حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التى ألقاها الله إليهم عن طريق محمد، تمامًا كما فعل ورقة بن نوفل [١٢ ق.هـ- ٦١١م] الذى أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد..

وإن إشارة القرآن إلى تحريف لحق اليهودية والمسيحية -وبصورتهما الموجودة على أيامه- قول صحيح..»[١].

***

تلك ثلاث شهادات غربية -يهودية ومسيحية- على الكتب المقدسة لدى الديانات السماوية الثلاث: العهد القديم.. والعهد الجديد.. والقرآن- آثرنا أن نمهد بها بين يدى التفنيد لهذه الشبهات التى زعم أصحابها حدوث تناقضات فى القرآن الكريم..

---

(١) مونتجمرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ص ٣٥، ٣٦، ٨٣، ١٠٦، ١٧٠، ٢٠٦، ٥٢- ٥٤، ٧١، ٣٢، ٦١، ١٢٨، ٦٣، ١٣١. ترجمة: دكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ طبعة مكتبة الأسرة- القاهرة سنة ٢٠٠١.

لقد فرض الله -سبحانه وتعالى- على علماء الإسلام فرائض ثلاث:

١- تبليغ الدعوة..

٢- وإقامة الحجة..

٣- وإزالة الشبهة.

ولقد تعلمنا هذه الفرائض من القرآن الكريم، الذى لم يترك شبهة من الشبهات -كبرت أم صغرت- ألقاها الوثنيون أو الدهريون أو اليهود أو النصارى، إلا ورد عليها وفندها..

وانطلاقا من هذا المنهاج القرآنى كانت سنة متبعة فى حياة علماء الإسلام الفكرية الرد على شبهات أعداء الإسلام.. حتى لنستطيع أن نقول إن إبداعات كبار العلماء، على مر تاريخ الإسلام، لم تخل من الإسهام فى هذا الفن من فنون التأليف.. ومن الأمثلة الشهيرة فى هذا الميدان: واصل بن عطاء [٨٠- ١٣١هـ- ٧٠٠- ٧٤٨م].. والجاحظ [١٦٣- ٢٥٥هـ- ٧٨٠- ٨٦٩م].. وابن حزم الأندلسى [٣٨٤- ٤٥٦هـ- ٩٩٤- ١٠٦٤م].. وحجة الإسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠- ٥٠٥هـ- ١٠٥٨- ١١١١م].. والقرافى -أحمد بن إدريس- [٦٢٦- ٦٨٤هـ- ١٢٢٨- ١٢٨٥م].. وشيخ الإسلام ابن تيمية [٦٦١- ٧٢٨هـ- ١٢٦٣- ١٣٢٨م].. وابن القيم [٦٩١- ٧٥١هـ- ١٢٩٢- ١٣٥٠م].. ورحمت الله بن خليل الهندى [١٢٣٣- ١٣٠٨هـ- ١٨١٨- ١٨٩١م].. والإمام محمد عبده [١٢٦٦- ١٣٢٣هـ-

١٨٤٩- ١٩٠٥م]. . وعبد العزيز جاويش [١٢٩٣- ١٣٤٧هـ- ١٨٧٦- ١٩٢٩م]. . ورشيد رضا [١٢٨٢- ١٣٥٤هـ- ١٨٦٥- ١٩٣٥م]. . ومحمد أبو زهرة [١٣١٦- ١٣٩٤هـ- ١٨٩٨- ١٩٧٤م]. . والشيخ محمد الغزالى [١٣٣٥- ١٤١٦هـ- ١٩١٧- ١٩٩٦م]. . إلخ. . إلخ. .

***

ونحن نحمد الله - سبحانه وتعالى- إذ يسر لنا الإسهام بجهد متواضع فى الرد على شبهات الزنادقة والملاحدة وغلاة العلمانيين. . وعلى المنصِّرين. . فقدمنا فى هذا الميدان العديد من الكتب. . ومنها:

١- [حقائق وشبهات حول القرآن الكريم].

٢- [حقائق وشبهات حول السنة النبوية].

٣- [حقائق وشبهات حول معنى النسخ فى القرآن الكريم].

٤- [حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان].

٥- [حقائق وشبهات حول السنة والشيعة].

٦- [قراءة النص الدينى بين التأويل الغربى والتأويل الإسلامى].

٧- [التأويل العبثى للوحى والنبوة والدين].

٨- [الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين].

٩- [التفسير الماركسى للإسلام].

١٠- [سقوط الغلو العلمانى].

١١- [الإسلام بين التنوير والتزوير].

١٢- [الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية].

١٣- [التحرير الإسلامى للمرأة: الرد على شبهات الغلاة].

١٤- [مقالات الغلو الدينى واللادينى].

١٥- [الإسلام والآخر: من يعترف بمن ومن ينكر من؟].

١٦- [حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب].

١٧- [الأنبياء فى القرآن الكريم والكتاب المقدس].

١٨- [الفاتيكان والإسلام: أهى حماقة أم عداء له تاريخ؟].

١٩- [الغارة الجديدة على الإسلام].

٢٠- [من يحمى المسيحيين العرب: الإسلام أم الفاتيكان؟].

٢١- [فى المسألة القبطية حقائق وأوهام].

٢٢- [الفتنة الطائفية: متى.. وكيف.. ولماذا؟].

٢٣- [أكذوبة الاضطهاد الدينى فى مصر].

٢٤- [الإسلام والأقليات].

٢٥- [ملاحظات علمية على كتاب المسيح فى الإسلام] -ملحق مجلة الأزهر- صفر سنة ١٤٢٧هـ.

٢٦- [رد الأزهر على كتاب ما هى حتمية كفارة المسيح] -ملحق مجلة الأزهر- ربيع الأول سنة ١٤٢٦هـ.

٢٧- [تقرير علمى] -فى الرد على المنصِّرين- ملحق مجلة الأزهر- ذى الحجة سنة ١٤٣٠هـ. . وغيرها من الكتب التى كونت مكتبة فى الرد على الشبهات. . .

***

واليوم. . وقد طُلب منا -عبر شبكة المعلومات العالمية- التفنيد لهذه الشبهات الجديدة، التى تدّعى وقوع تناقضات بالقرآن الكريم. . ها نحن -بحول الله ومعونته- نقدم هذا التفنيد لهذه الشبهات- التى صاغها أصحابها فى خمس عشرة شبهة- هى فى حقيقتها تقترب من الثلاثين. .

سائلين المولى -سبحانه وتعالى- أن ينفع بهذا العمل، تحصينا للعقل المسلم، وهداية للباحثين عن الحقيقة من كل الديانات والفلسفات والثقافات. . إنه -سبحانه- خير مسئول وأكرم مجيب.

القاهرة فى ٤ من رجب ١٤٣٢هـ
٦ من يونيو ٢٠١١م

دكتور

محمد عمارة